Majallah Al-Qism Al-Arabi
University of the Punjab,
Lahore - Pakistan.
Vol. 31, Issue No. 01, 2024

مجلة القسم العربي
جامعة بنجاب، لاهور– باكستان.
المجلد الحادي والثلاثون، العدد01، 2024م.

مفهوم العُزلة بين شعر أحمد الصافي النَّجَفيّ وأحمد فَرَاز

(دراسة مقارنة)

The Concept of Isolation between the Poetry of Ahmed Al-Safi Al-Najafi & Ahmed Faraz

(A Comparative Study)

براء خالد هلال
طالب دكتوراه في النقد الأدبي
بالجامعة الإسلامية العالمية بإسلام آباد

Abstract

Isolation is a phenomenon found in global poetry, manifested in various forms such as imprisonment, bachelorhood, old age, Sufi seclusion, spiritual thirst for the beloved, or the narcissistic solitude felt by the poet. It is perhaps the most prominent phenomenon that guides the poet towards universality, as demonstrated by renowned figures like Abu Al-Ala Al-Ma'arri, and Gabriel Garcia Marquez, the author of "One Hundred Years of Solitude." In this research, we discuss two poets from two Eastern cultures who accord a special significance to the concept of seclusion: the Pakistani poet Ahmed Faraz, who wrote his poetry in Urdu, and the Iraqi poet Ahmed Al-Safi Al-Najafi, who wrote in Arabic. Both poets converge in a shared Persian culture, translating from Persian into their respective languages and being influenced by its symbols, especially the prominent Persian poet,

Omar Khayyam, known for his quatrains. In this brief study, we will delve into the ideas of isolation and its reasons as gleaned from the poems of both poets and their histories. We will explore the emotions and thoughts that emanate from this state of Sufi seclusion, examining the motivations behind it and the rituals associated with it. Additionally, we aim to identify the aspects of influence and mutual influence between the two poets through a comparative study conducted in the light of a historical methodology.

Keywords: Isolation, Ahmad Faraz, Ahmad Alsafi, Arabic Poetry, Comparative literature.

مقدمة:

العُزلة ظاهرةٌ في الشِّعر العالمي، تجلَّت بمظاهر عِدّة، كالسّجن والعزوبية والشَّيخوخة والخَلوة الصُّوفيَّة ، والعطش الرُّوحي إلى المحبوب، أو التفرّدِ النرجسيّ الذي يحسُّ به الشّاعر، ولعلها الظاهرة الأبرز التي تأخذ بيد الشّاعر إلى العالميَّة، كما فعلت برهين المحبسين، أبي العلاء المعريّ، وغابرييل غارثيا مركيز، صاحب رواية (مئةُ عامٍ من العُزلة). وإنَّنا في هذا البحث نتحدّث عن شاعرين من ثقافتين مشرقيتين تُوليَان مفهومَ الخَلوة مكانةً خاصّة، هما الشّاعر الباكستانيّ أحمد فَرَاز الذي كتب شعره بالأرديّة، والشّاعر العراقيّ أحمد الصّافي النَّجَفيّ، الذي كتب شعره بالعربيّة، ولكن كلا الشّاعرين يلتقيان في ثقافةٍ ثالثةٍ مشتركةٍ هي الثقافةُ الفارسيّة، حيث ترجَمَ كُلٌّ من الشّاعرين من الفارسيّة إلى لغته وتأثر برموزها، لاسيما شاعر الرباعيّات، الأبرز في تاريخ الشِّعر الفارسي، عمرُ الخيّام. سنناقش في هذا البحث القصير أفكار العُزلة وأسبابها حسبما نستشفه من قصائد كل من الشّاعرين وتاريخهما، وما يمورُ فيها ويختلجُ من أحاسيسَ وأفكار سبَّبت تلك الحالة الصُّوفيَّة وما أدى إليها من دوافع أو صاحبها من طقوس، كما نحاول تلمس مظاهر التأثير والتأثر، والمشترك بين الشّاعرين في دراسة تحليلية مقارنة.

أحمد الصافي:

مولده ونسبه: الشّاعر أحمد الصافي النَّجَفيّ عراقي المولد، ولد في النجف عام 1897م، لأسرة دينيّة تتبع المذهب الشيعيّ، وتنتسب أيضاً لآل البيت وتقول أن نسَبَها يتّصل بالإمام موسى الكاظم، وعاش حياةً مضطربةً متنقّلةً قضاها بين مسقط رأسه في العراق و إيران وسوريّة ولبنان[1]. نشأ النَّجَفيّ يتيماً حتى توفي والده بوباءِ الكوليرا، وهو لما يجاوز العاشرةَ، فكفِله أخوه الأكبر محمَّد رضا، وكان النَّجَفيّ إذ ذاك مريضاً ضعيفَ البُنيَة، ثم ما لبث أن اجتمع له اليُتم حيثَ توفّيت والدتُه بعد ذلك بعامين[2]. كان الصّافي النَّجَفيّ يدرس في الحوزة الشيعيّة في صِباه ويتلقّى علومَه الأدبيّة والدينيّة، وكذلك العلوم الطبيعيّة واللغة والمنطق والأوزان مما مكنه من نظم الشِّعر في سن مبكّرة، وقد اجتمع في شعره آثار كل هذه العلوم التي تعلَّمها. وحيث كان الشّاعر مريضاً دائمَ العِلّة لم يستطع أن يحظى بعمل بدنيٍّ جيِّد رغم سفره إلى البصرة فالكويت، ليعود إلى مسقط رأسه في النجف خاليَ الوفاض، والثورةُ ضد الاحتلال البريطاني على الأبواب، فكان من المحرِّضين عليها مع أخيه، ومثّل منزلُه مهداً من مهود الثورة آنذاك، عام 1918م ثم في ثورة العشرين.[3]

سجنه ومنفاه: كان لتجاربه وتجارب أخيه مُحَمَّد رضا في السّجن خلال تلك الثورات أثرٌ كبيرٌ في تحوّله إلى العُزلة التي تحدّث عنها كثيراً في شعره، أضف إلى ذلك مرضه، وعزوفه عن الزواج، من مثل قوله {من الوافر}[4]:

لئن أُسْجَنْ فما الأقفاصُ إلا لليثِ الغابِ أو للعندليبِ

ألا يا بلبلاً سجنوكَ ظُلماً فنُحْتَ لفُرقةِ الغصنِ الرطيبِ

فكانت تجربة العُزلة مضاعفة في الغربة والسّجن والعزوبية. ولكنها لم تكن التجربة الوحيدة له، حيث سجن مرة أخرى إبان ثورة رشيد عالي الكيلاني عام 1941م على يد القوات البريطانية، وحين خرج تخفَّى وفرّ إلى إيران سرَّاً من بلدة إلى أخرى، وقضى في طهران ثمانيَ سنين، أجاد خلالها الفارسيّة التي كان قد

تعلم أبجدياتها في حوزة النجف، ووصل به إتقان اللغة إلى أن عمل على تعريب (رباعيّات الخيّام) شعراً، فكانت ترجمته إحدى أفضل الترجمات لهذه الرباعيات الشهيرة في الأدب العالمي. وقام الشاعر النجفي بتدريس الأدب العربي في مدارس طهران الثانوية(5)، لكنه هجر التدريس بعد عامين وانتقل للعمل مع الصحف الإيرانية على الترجمة والتحرير. وبقي هناك ردحاً من الزمن إلى أن رجع للعراق بعد استقرار الأوضاع، لكنَّ صحته تدهورت سريعاً فنصحه الأطباء بالسفر إلى لبنان أو سوريا لاعتدال أجوائها بغية النقاهة والاستشفاء. وفعلاً ترك النجفي العراق خلفه في فراق شبه بائن هذه المرة عام 1930م، متوجها إلى بيروت معتمداً اعتماداً أساسياً في معاشه على ماتدرُّه عليه دواوين شعره وكتبه من دخل بسيط. عاش النجفي في بيروت سنين قاسية عجفاء، وحياة يمزقها المرض واليُتم والألم والحرمان، حتى أنشد قائلاً {من الطويل}(6):

أسيرُ بِجسمٍ مُشْبِهٍ جسمَ مَيِّتٍ كأنّي إذا أمشي بهِ حامِلاً نَعْشِي

عاش أحمد الصافي معاناة الغربة في سجنه، تلك المعاناة التي وصفها بالغربة المركبة لأنه سجن خارج الوطن، فأنشد قائلاً {من الوافر}(7):

أرى في غربةِ الإنسانِ سجناً فكيف بسجنِ إنسانٍ غريبِ؟

عاش الشّاعر سجنه وحيداً رغم الزخم الذي يحيط به، فشبه هذا السّجن بالصحراء بنبرته الساخرة التي تخلق المفارقة من أبسط الأشياء، فقال فيه {من الخفيف}(8):

سجنوني في غرفة قد تعرّت فكأني سجنت وسْطَ القفارِ
جاعلاً من ترابها لي فراشاً وغطاءً يلفنّي من غُبارِ
ثمَّ زادوا على الغُبار غطاءً من نسيجٍ مضعضعٍ مُنهارِ
فاذا نمتُ يكتسي منهُ وجهي بغريبِ الأصوافِ والأوبارِ
فتراني في الصّبح أمضغُ شَعراً وتراباً برغم حلقيَ سارِ

فكـــأني أكلـــتُ نصـــفَ فِراشـــي وكـــأنّي شـــربتُ نصـــفَ دثـــاري
وكـــأنّني والصـــوّفُ كلـــلّ وجهـــي نـــوعُ وحـــشٍ مـــا مـــرَّ بالأفكـــارِ

بهذه الأبيات الساخرة وصف الشّاعر معاناته في السّجن والظروف القاسية التي يواجهها هناك. فالغرفة مصمتةٌ عاريةٌ من أي أثاث وكأنه سُجِن وسط الصحاري. يُظهر الشّاعر الظروف القاسية التي يعيشها في السّجن من خلال وصفه لفراشه الذي لا يتألَّف إلا من تراب الأرض وغطاء من الغبار والأوبار. ويقول الشّاعر أنه يُضاف إلى هذا الغطاء من الغبار غطاء من النسيج الممزق والمتهالك، مما يزيد من معاناته فيضطر لأن يدفع هذه الأوبار كي لا تلتصق على شفاهه. ولشدة جوعه في هذا السّجن صار هيكلاً عظمياً كما يقول في موضع آخر {من المتقارب}(9):

ســـجنتُ وقـــد أصـــبحتْ ســـلوَتي مـــن السّـــقمِ عـــدّيَ للأضـــلعِ
أعالـــجُ بالصـــبرِ بـــرحَ السّـــقام ولكـــنْ علاجـــي لـــم ينجـــعِ
أتـــاني الطـــبيبِ وَوَلـــّى ســـدًى وراحَ الشَّـــفيعُ فلـــمْ يشـــفعِ
ولمـــَّا بكـــى ســـاجني رحمـــةً أجـــابوا التشـــفّعَ للأدمـــعِ

لكن لقاءه الأخير مع العراق كان مؤلماً جداً، حيث خرج من بيته في بيروت ليشتري خبزاً إبان الحرب الأهلية اللبنانية فأصابته رصاصة طائشة، أودت ببصره، هنا تذكّره صدام حسين وأرسل طائرة لنقله إلى العراق وهو شبه أعمى، فقال {من الرجز}(10):

يا عودةً للدَّارِ ما أقسَاها أسمـــعُ بغـــدادَ ولا أراهَـــا

لكن محاولات علاجه فشلت وتوفّي بعد ذلك بأيّام. ونُقِلَ جثمانه إلى النجف ليوارى الثرى هناك.

حياته وعزوبيته: عاش الشّاعر حياته وحيداً رغم الزخم الذي يحيط به، وشبه هذه الحياة بالصحراء القاحلة لكنه تغزل بها وأحبها حب البدويّ لصحرائه، فقال فيها {من الكامل}[11]:

أحببتُ صحرائي وإنْ هيَ أجدبت إذ أنبتَتْ حريّةً وصِعابا
وَلَكمْ هَويتُ مِنَ الجبالِ سموَّها لو لمْ تقفْ دونَ الفضاءِ حجَابا

يعبَّر الشّاعر عن حبه العميق لهذه الحياة المتصحرة من الخلان والأصدقاء رغم ما فيها من الجدب والجفاف، ورغم أن نبتها الشوك والحنظل الذي يتزقَّمه الشّاعر مُراً، لكن هذه المرارة هي التي أعطت الجبال الوعرة هيبتها حتى صارت تحجب السماء عن بعضها وتطاولها بتفرّدها وشموخها. بل يرى الشّاعر أن شعره الجميل ما هو إلا ثمرة من ثمار الخَلوة والمصاعب التي تتمخّض عنها {من الطويل}[12]:

إذا مَسَّ قلبي من جحيمِ الأسَى جمرُ تفجّرَ بركانٌ لهُ حممٌ كُثْرُ
هي الحممُ الحمراءُ ليسَ لها حَصرُ ومِن بعضها هذا التأوّهُ والشِّعر

هذه المشاعر المتوقدة التي تمور بقلب الشّاعر، تندفع شعراً لاهباً على لسانه، ولحناً شعرياً مطرباً جميلاً، وكأنه يقول أنه لولا عُزلة العصفور في ليالي الشتاء الطويل لما أتقن التغريد. هذه العُزلة الطويلة أثرت في روح الشّاعر وجعلتها تتعطَّش للأنيسِ والجليسِ وطارق الدار فقال{من الخفيف}:[13]

عِشتُ في البيتِ مفرداً لا قريبَا لا حبيباً حتى اشتهيتُ الرَّقيبا
أفرطتْ وحدتي ببيتيَ حتّى أحسبُ اللصَّ زائراً محبوبَا

لايمانع الشّاعر أن يكون الزائر لصاً، حتى أنه يحتفي به احتفاء المسافر الآيب الذي ألقى عصاه واستقرت به النوى، لفرط الوحدة والجوى.. بل يتمنَّى حتّى لو كان ذلك الزائر ملك الموت، فقد أصابه ما أصاب حكيم الشِّعراء زهير بن أبي سلمى قبل أن يبلغ مبلغ زهير، فقال النَّجَفيّ {من مجزوء الكامل}[14]:

إنّي سـئمتُ مـن الحيـاة ولمْ يطـلْ منهـا الأمـدْ
لهفـي علـى الخضِـر الـذي حكَمـوه في عمـرِ الأبـدْ

لهفي على نفس الشّاعر التي سُلّت وملّت، وتمنّت هادم اللذات ومفرّق الجماعات، شفاء من هذه الوحدة القاتلة، حتى أن الشّاعر يتعاطف مع الخضر عليه السلام إذ كيف استطاع أن يتحمل ساعات عمره الطويلة الأبدية. لكن هذه الصورة تشي أن أحمد الصافي النَّجَفيّ كان شاعراً حاضر النكتة سلس الشِّعر يعتمد في سبكه على الفكرة الساخرة أكثر من اتكائه على الرمز واللغة .. ورغم مباشرته الفجة أحياناً لكنك لا تمله لطرافة أفكاره، وخاصّة أنه يجعل من نفسه مادة التندُّر وهو وصّاف بديع، فهو كما يصف نفسه قبيح المنظر دميماً قصير القامة عاش ستين سنة أو زهاءها فقيراً وحيداً ولم يتزوج .. وقال واصفاً غرفته التي يسكن فيها {من مخلع البسيط}[15]:

أكـافحُ الـبردَ في سـراجٍ يكـادُ مـن ضـعفِهِ يمـوتُ
في غرفـةٍ ملؤُهـا ثقـوبٌ أو شـئتَ قُـلْ ملؤُهـا بيـوتُ
سـكّانُها بـلا كـراءٍ فـأرٌ وبـقٌّ وعنكبـوتُ
للفـأرِ مـن مـأكلي غـذاءٌ والبـقُّ جسـمي لديـهِ قـوتُ
واعتـزلَ العنكبـوتُ أمـري وفي بقـاهُ معـي رضـيتُ
فهـو معـي مثـل فيلسـوفٍ مُعتـزلٍ شـأنُه السـكوتُ
هذي ندامايَ في الدياجي عـادَ بهـا شملـيَ الشَّـتيتُ

لكن الشّاعر يعود إلى نفسه ويتأمَّل الفرق بين فائدة مُجالسة الناس وفائدة الخَلوة بالنفس، فيرى أن الأُولى غير مثمرة وأن الخَلوة هي محكُّ الإبداع والتدفُّق فيقول {من الطويل}[16]:

متى كنتُ بين الناسِ أسمعْ حديثَهم وكـلُّ حـديثِ الـنفْسِ هـذْرَاً أضـعتُهُ
ولكنّني إنْ كنتُ وحديَ جالساً سمعـتُ حـديثَ الـنفسِ ثمَّ أذعتُـهُ

كـــأن بفكـــري للســـماءِ إذاعـــةً فتُســـمِعُني البكـــرَ الـــذي مـــا سمعتُـــهُ

فمُجالسةُ الناسِ تُورثُ السطحيَّة وتُفسد التأمَّل والتفكُّر، فلا يتعلّم المرء من دروس الحياة، أما خلوة المرء بنفسه فهي التي تجعله يُراجع نفسَه وأفكارَه وأفعالَه، ويستنتج من العبر والدروس، وينثرها حِكَماً بين الناس، وكأنَّ لسانه لا يتكلم بخلجات نفسه فحسب بل يتكلم بوحي السماء، لذا يقتنع الشّاعر أنه لا يجد سعادته وأنسه إلا بخلوته، فيقول {من الطويل}(17):

أحـــبُّ بنفســـي الانفـــرادَ لأنّـــني أؤمّـــنُ معهـــا كـــل بِشـــري وإيناســـي

مـن الـنفسِ لم أستَأْ مـدى الـدَّهرِ مـرّة وكم كابدَتْ نفسي استياءً من الناسِ

عزلة الصافي:

رأينا في أشعار السّجن للشاعر العراقي أحمد الصافي تركيزه على العُزلة الحقيقيَّة التي يعيشها، وهي عُزلة قسريّة أو اختياريّة أبعدته عن الناس وعن محيطه الاجتماعيّ، ففي مراحل السّجن المختلفة التي عاشها الصافي، كان يصف واقعه المرير في هذه العُزلة التي يحياها وصفاً واقعياً دون جنوح للخيال، حين تحدَّثَ عن جدران السّجن المصمتة وعن طعام السّجن الرديء، وعن عدم الاهتمام بنظافة الزنازين، وعن الأغطية البالية التي ترمى للسّجناء، رغم أن وصفه كان قاسياً وتزداد قسوته بعمق الفكاهة والكوميديا السوداء التي ملأ بها شعره. وبعيداً عن السّجن وصف الشّاعر منافيه الاختيارية الذي ذهب إليها لأسباب سياسية قاهرة، سواء غربته في طهران، أو منفاه في دمشق، وحياته في بيروت، التي ختم بها أيامه. كما وصف الصافي عزلته الاجتماعية حين لم يتزوج وعاشها سنواته السبعين أعزب، بسبب مرضه الطويل وهزاله، ودمامة خلقته التي تهكّم بها على نفسه، في كثير من أشعاره، ومنها قوله {من المجتث}(18):

تنـــأى الدميمـــةُ عـــنّي فكيـــفَ بالحســـــناءِ

قد حَرّم الضعفُ حتّى صـــــداقتي للطـــــلاءِ

كـــــــبرزخ أنا بـــــــين الأمـــــوات والأحيـــــاءِ

وأكثر من وصف غرفته الفقيرة في دمشق، والتي كانت مبنيَّةً من الطّينِ كثيرةَ الثقوب والحشرات، فارغةً من كل يملكه الإنسان، وهي غرفةٌ دفعت الأصحاب للعزوف عن الزيارة، واقتصرت ندامى الشّاعر على العنكوت والفأر والبق، وهكذا حتى بات النَّجَفيّ "ملك العزلات المتوّج بشتى نعوتها وسيميائها"[19]. ربما كان سبب تلك العُزلة المركّبة التي يعيشها النَّجَفيّ روحه الثوريّة المتعاليَة، التي دفعته للمشاركة في ثورات العراق الأولى، والرحيل إلى المنافي مراراً، ويكفي أن نعرف أن ثمانيةً من دواوينهِ العشرة كتبها خارج العراق[20]، وقادته إلى نزعةٍ عدائيةٍ مع محيطه الثقافي، ونبرةٍ متذمّرةٍ ساخرةٍ من كلِّ شيءٍ، حتى ترسخَّت صورتُه في شعره على أنه مشرَّدٌ لا أهل له أو وطن، يقضي أوقاته متسكعاً في مقاهي دول جوار العراق وسجونها.

أحمد فَرَاز:

لعلها مفارقةٌ كبيرةٌ أن يتمتعُ الشِّعر والشُّعراء بتلك الأهمية البالغة في بلاد لايزال أكثر من ثُلث سكانها يغطُّ في مستنقعِ الأُميَّة. الشِّعر يولدُ من رحِم المعاناة، وتغذّيه قسوةُ الظّروف، وتصقلُه التجارب.. ولا أهميَّة بعد ذلك إن كان الشّاعر أو المتلقّي قارئاً وكاتباً أو أميّاً. تلك الأهميّة التي يتبوّأها الشُّعراء في المجتمع الباكستانيّ تظهر في نظرات الإجلال التي يتم فيها الحديث عنهم، وتسمية الشوارع والمدارس والمنشآت العامة بأسمائهم. والحديث هنا ليس عن غالبٍ وإقبال وفيض أحمد فيض، بل عن شاعر معاصر تُوفّي قبل سنوات قليلة من تحرير هذا المقال، له حضور بالغ في وجدان الشعب الباكستاني، ويتسمَّى أحد أشهر شوارع العاصمة الباكستانية باسمه، هو الشّاعر أحمد فَرَاز.

أحمد فَرَاز، اسم أدبيٌّ لسيّدْ أحمد شَاه (1931-2008م)[21]. ولفظ (السيّد) في أعراف شبه القارّة الهنديّة يشي أن حامله ينتسب إلى آل البيت. فَهِم

فَرَاز أن الشّاعر هو ذلك المرء الذي يمكنه قلبُ الأسى والمعاناة إلى صورٍ شفيفة بديعةٍ تقطر عذوبة كما يقول في قصيدة (الشّاعر): "على شفتيه يغدو السُّمُّ إكسيرا"[22]، فالشِّعر يداوي جراح المعذبين، ويواسي أنّات أصحاب الوجد. وُلد الشّاعر الناطق بالبشتو، بالقرب من مدينة كوهات في مقاطعة خيبر الباكستانية، حيث يرقد جده، الوليُّ الصوفيُّ علي عبد الله شاه الذي توفي القرن السادس عشر، والمعروف أيضًا باسم الحاج الفخري بهادر. هذا الجد الذي ورث عنه فَرَاز روحانيَّاته وتصوّفه الديني والشِّعري[23]. حصل فَرَاز على الماجستير في اللغتين الأرديّة والفارسيّة في جامعة بيشاور، ودرس اللغة الأردية في الكليّة الإسلاميّة خلال أوائل الستينيّات[24]، والتي كانت فترة من التخمير الإبداعيّ والثورة.

أجبرت الاحتجاجات الجماهيرية الجنرال أيوب خان على الاستقالة من منصب رئيس باكستان فخلفه الجنرال يحيى خان في الحكم، واستمرَّ حكم العسكر. وفي شرق باكستان قام نظام يحيى خان بحملات ضد الطلاب والناشطين البنغاليين ورفض الالتزام بنتائج الانتخابات، التي فازت فيها رابطة عوامي الانفصالية بجميع مقاعد باكستان الشرقية تقريبًا مما أدى لتفكك باكستان واستقلال بنغلاديش[25]. واستقال يحيى من منصبه، واكتسح حزب الشعب الباكستاني الانتخابات بقيادة ذو الفقار علي بوتو عام 1970م، وكان أحمد فَرَاز عضوًا مؤسسًا في حزب الشعب الذي يتخذ المنهج اليسار الاشتراكي، حيث قام بتأميم الصناعات الرئيسية مثل الصلب والأسمنت ومصافي النفط، في حين حول سياسته الخارجية بعيداً عن التبعية للولايات المتحدة نحو عدم الانحياز. اتجه بوتو لتعزيز واجهة الحياة الثقافية في باكستان، فقام بتعيين الشّاعر الأردي الشهير فيض أحمد فيض لتنمية المجلس الوطني للفنون ومعهد التراث الشعبي. أما أحمد فَرَاز فقد شارك في عام 1976م في تأسيس أكاديمية باكستان للآداب وعيّن أول مدير عام لها[26]. في ذلك العام، كان أول موعد لفَرَاز مع العُزلة، حيث سُجن بسبب قصيدته "القتلة المحترفون"، التي أدان فيها التاريخ الطويل من عمليات

القتل خارج نطاق القضاء على يد الجيش. أطلق حكم من المحكمة العليا سراح فَرَاز بعد أسبوعين من السّجن [27]. في عام 1977م، قام الجنرال ضياء الحق بحل حكومة حزب الشعب الباكستاني، واعتقلت الحكومة الباكستانية بوتو، وحُكم على بوتو بالإعدام بتهمة التآمر لقتل معارضٍ سياسيّ في أبريل 1979م. في قراءةٍ شعريّةٍ في كراتشي في نفس العام، اعتقل عملاء استخبارات الجيش أحمد فَرَاز وهو يقرأ قصيدته "الحصار" التي رثا فيها بوتو وعارض حكم العسكر. تم اعتقال فَرَاز لمدّة أربعةِ أشهر دون تهمة أو محاكمة، وزُجَّ به في سِجن انفراديٍّ[28]. في ظل هذه الظروف، سخر أحمد فَرَاز من الجيش والبيروقراطية ثلاث عشرة مرة، رغم أن ذلك كان يتطلب شجاعة وجرأة كبيرة في تلك الأوقات. كان فَرَاز يرى أن الحكومة تحكم بالحديد وتتآمر ضد الشعب، لذا نرى كثيراً من شعر فَرَاز يعارض الدكتاتورية، وظهر ذلك في كل مجموعاته الشِّعرية تقريباً مثل (تنها تنها) و(نايافت) و(شب خون)، فالحاكم الظالم لا يتقن إلا القتل وسفك الدماء، ويقول أحمد فَرَاز في ديوان (نايافت):

وہ ایک شخص کہ سورج کے روپ میں آیا چرا کے لے گیا شمعیں فَرَاز ہر گھر کی"[29]

مما يمكن ترجمته بما يلي: "ذلك الرجل الذي جاء بهيئة الشمس، سرق شموع كل بيت"، في إشارة إلى الشمولية التي يدير بها العسكر البلاد، وعند إطلاق سراحه، مُنع فَرَاز من السفر إلى مقاطعة السند، حيث يتجمهر قُرّاء شعره الناطقين باللغة الأردية، لذا فضَّل المنفى الاختياريّ لمدة ستّ سنوات، وكانت هذه التجربة الأخرى له مع العُزلة، لكن فَرَاز وجد في لندن وتورونتو ونيويورك مراكزَ للثقافة الأدبيّة الأرديّة نظراً لازدحام الجاليات الباكستانيّة والهنديّة التي تفهم الأردو في تلك البلدان، مما مكن فَرَاز من إيجاد بيئة وحاضنة تجمع جماهيره الكبيرة.

وبعد أن توفّي ضياء الحق في حادث تحطم طائرة في عام 1988م عاد فراز خلال فترة ولاية بينظير بوتو رئيسة للوزراء (1988-1990م)، ليشغلَ منصبَ

رئيس أكاديميّة الآداب الباكستانيّة[30]. عايش فراز بعدها الأحداث المتلاحقة حين قام الجيش بإقالة بوتو بعد أن كانت رئيسة للوزراء لمدة تقلُّ عن عامين. وواصل خليفتها، نواز شريف، سياسات ضياء الحق، مثل خصخصة الخدمات العامة والحصول على قروض من صندوق النقد الدولي والتي كانت مبنية على التزام باكستان بتحفيز استثمارات الشركات، إلى أن انقلب عليه برويز مشرف. وفي عهده منحت باكستان فَرَاز وسام (هلال الامتياز) في عام 2004م.[31] وفي ذلك الوقت، كان فَرَاز يشغل منصب رئيس مؤسسة الكتاب الوطنية. ولكن في عام 2006م، عزلته الحكومة العسكرية التي كان يرأسها الجنرال برويز مشرف من منصبه. في ذلك العام، أعاد فَرَاز وسام هلال الامتياز الذي حصل عليه إلى الحكومة احتجاجًا على إقالة مشرف لرئيس المحكمة العليا في باكستان[32].

مفهوم العُزلة (تنهائى) في شعر فَرَاز:

العُزلة في المشرق متشعِّبة عن الخَلوة الصُّوفيَّة ، تلك الخَلوة التي يراها أهل العِرفان والكشف طريقاً للتأمل وتفضيل الروحانيّات على المادّيّات، فهي تعتكف بالمرء في محراب زاويته وحده بعيداً عن ضجيج الحياة وانشغالاتها، وتطهِّر نفسَه من أدران صراعات المحيط والشرور الكامنة في تلك الصراعات، كما تساعد الخلوة المرء على استعادة إنسانيته من القِوى التي تعمل للسيطرة على جوارحه واستلابه، فالخَلوة الصُّوفيَّة إذن نوع من العُزلة التي يرون أنها تُمكِّن الصوفيّ من تطهير قلبه من أدرانِ العالم، وترقى بالمريد من حالة معرفة الذّات إلى حالة معرفة الله[33]، والخَلوة عادة اكتسبها المتصوّفة من ممارسات الأنبياء والرسل والصالحين، فالرسول الكريم ﷺ، كان يختلي بنفسه في غار حراء. لكنهم يرون أن العزلة عن الواقع في الخلوات تمكّن الصوفي من الهجرة إلى الله بالتأمُّل والتطهّر ومجاهدة النفس، فيتمكَّن من الارتفاع إلى مقام عالٍ يوصله إلى مصافِّ أهل الصَّفاء، ومن شروط دخول الخَلوة التطهُّر من الدنيا وإخلاص النيَّة وتنظيف القلب والتحلّل من الذنوب تجاه الخلق، لأن الخَلوة تفشي عن الحضور والمجاهدة من أجل الوصول[34].

فالعُزلة إذن فسحة لإصلاح الباطن، حيث يجد الإنسان نفسه وجهاً لوجه مع الملاك الذي يسكن ذاته، فيروح يعب من فيوض عرفان أهل الخاصّة عله يرتوي. يقول فَرَاز:

کل ہم نے بزم یار میں کیا کیا شراب پی صحرا کی تشنگی تھی سو دریا شراب پی

يصف فَرَاز معنى العطش الرُّوحي في الخَلوة بدقة فيقول في معنى البيت (في مجالسة المحبين بالأمس، شربنا ما شربنا.. كانت أرواحنا عطشى كالصحراء فشربنا البحر).

أحمد فَرَاز شاعرٌ ذو قلب رقيق، تؤثر فيه أبسط المواقف فتستحيل شعراً غزير الكثافة عميق الشّاعرية. يُظهر شعرُه طبيعة شخصيّته العامة التي كانت تشغلها القضايا الكبرى، ولكنها معتكفة في محراب التفكّر والشّاعرية، ويظهر ذلك جليّاً منذ ديوانه الأول (تنها تنها). تأثّره بالمواقف يظهر من خلال بروز الأحداث السياسية وانعكاسها في شعره، وتصوفّه ورقّتُه يظهران من خلال الصور والرقة التي عبر بها عن تلك الأحداث، فهو يكثر من ذكر الدّم، ويصف الظلمة الدامسة، ويتحدث كثيراً عن المشعوذين.

اختار أحمد فَرَاز مفهوم العُزلة عنواناً لأحد دواوينه (تنها تنها) والذي لا يمكن أن نترجمه بمعنى (وحدي وحدي)، لأن فَرَاز هنا جمع في هذا العنوان طريقة المتصوفة في السلوك، وطريقة الفلاسفة في التعبير والتنظير، فالفلاسفة اختاروا العُزلة نمط حياة، حيث اعتزل ابن سينا في سجنه، واعتزل ابن خلدون مثل ذلك في كهفه حتى خرج بالمقدمة، واعتزل الخيام في منزله، واعتزل المعري عمره كله في محبسيه. يختار المفكرون والشِّعراء العُزلة لأنها السبيل للبعد عن شرور الواقع وسفاسفه، وتحررهم أخلاقياً فتعبد لهم الطريق الموصل إلى غايات العارفين، يقول الإمام الجنيد: "من أراد أن يسلم له دينه، ويستريح بدنه وقلبه، فليعتزل الناس، فإن هذا زمان وحشة، والعاقل من اختار فيه الوحدة"[35]، ويقول فَرَاز في هذا المعنى:

کس کس کو بتائیں گے جدائی کا سبب ہم تو مجھ سے خفا ہے تو زمانے کے لیے آ

ويقصد في هذه الأبيات ما معناه (سنبقى حتماً في العُزلة، لمن سأفسر أسباب افتراقنا..

فابق قليلاً حتى لا تشمت بنا الزمان حتى إن كنت تشعر بالاستياء مني).

فالعُزلة إذن حاضرة في الفلسفات القديمة أيضاً، حين عاشها الفلاسفة منذ القدم إما اختياراً أو جبراً ، رغم أن بعض الفلاسفة اكتفوا بالتنظير لها وإن لم يمارسوها، ولكن هناك إجماع على أن العُزلة تعود بالفائدة الإيجابيّة على الإنسان، وهي تساهم في تحرير روحه وإطلاق سراحه من سجن الواقع فيكون أكثر عطاء وإنتاجاً، لاسيماً إذا كان مفكّراً مبدعاً، يقول أحمد فراز عن سجن الواقع، والعالم الحالم الذي يرسمه(36):

عجب منظر سواد شام کے آنکھوں میں پھرتے ہیں

منظر عجب لهذا الظلام الدامس يتراءى في العيون

ہند اسورج کی مشعل کو جلاتی ہے بجھاتی ہے

هند تشعل مشعل الشمس وتطفئه

افق پر کتنی تصویریں ابھرتی ہیں بکھرتی ہیں

في الأفق تظهر كثير من الصور ثم تتبدد،

شفق میں آشنا چہروں کی رنگت پھیل جاتی ہے

وفي الشفق، تنتشر ألوان الوجوه المأنوسة عندما تتفتح الزهور في ناظريك بلا خوف،

تو دامان نظر میں بے محابا پھول کھلتے ہیں تو جیسے جو بارہ یاد یاراں گنگناتی ہے

كما يردد الخلان ترانيمهم سوياً.

وہ ہمدم مجھ کو حیراں و پریشاں ڈھونڈتے ہوں گے

سيبحث عني أولئك الذين تجولوا معي في دهشة وقلق،

کہ جن کی مہرباں آنکھوں میں شبنم جھلملاتی ہے

لأنهم سيجدون في عيون الرحمة بريق الندى. ما في القفص جدران

قفس میں روزن دیوار و زخم در نہیں لیکن نوائے طائران آشیاں گم کردہ آتی

وجروح، لكن ألحان الطيور تأتي من أعماق العش المفقود.

يضم ديوان العُزلة (تنها تنها) جميع المواقف والأحداث السياسية والاجتماعية من عام 1947م إلى عام 1958م، وهو تاريخ صدور الديوان. يجري في فَرَاز في الديوان مجرى الشِّعراء العرب في مطالع النسيب والتغزل بالمحبوبة، فيبدأ قصائده بحكايات حزينة. يعبر عن حبه الكبير لمعشوقته، ويغرق في كينونتها ووصف ملامحها، ونعومة خصرها، وجمال شَعرها، ويسلك لذلك تشبيهات واستعارات جميلة اقتبسها من تراثه الأردي والعربي والفارسي العريق، ثم يتحول بعد ذلك للحديث عن العُزلة والحزن، يقول فَرَاز في مطع إحدى قصائده(37):

دل قفس میں بھی غزل خواں ہیں، بیاد جاناں
غم جاں بھی غم جاناں ہے بیاد جاناں
کب رگ و پے میں نہ تھا درد کا قاتل نشتر
آج پیوست رگِ جاں ہے بیادِ جاناں
یوں عبا آتی ہے گلگشت کو، جیسے زنداں
کوچہ چاک گریباں ہے بیاد جاناں

حتى في قفص القلب ترينني غزِلاً، يا من أشتاق لها
الحزن هو الحياة، والحياة هي الحزن، يا من أشتاق لها
متى كانت الأوجاع لا تهد الأعصاب
لكن وصلت آثارها القاتلة للشرايين،يا من أشتاق لها
هكذا تمر الأيام على المسافر ، كما لو أنا الدنيا ردهات سجن مظلمة يامن أشتاق لها

وهكذا يسير نمط شعر فراز، الذي يكثر فيه من ذكر السجن والعزلة وفراق الحبيب، رغم أن هذا الهيكل ليس عاماً في شعره، إذ ربما يبدأ قصائده أحياناً في الحديث عن فقراء باكستان ومعاناتهم، أو ظلم الحكام وجبروتهم،

وإغـراقهم في الملـذات، متطرّقـاً إلى تصـوير الأوضـاع والأحـداث السياسـية والاجتماعية في ذلك العصر، ممّا يجعل المرء يدرك الحساسية العالية والوعي الفكري الذي يملكه الشّاعر منذ اللحظة الأولى، وحول ذلك يكتب دستغير شهزاد في حديثه عن فَرَاز: "على الرغم من وجود الكثير من المشاعر الرومانسية في مجموعته الشِّعرية الأولى (تنها تنها)، إلا أن هناك أيضًا قصائد تعبر عن الوعي السياسي والاجتماعي والاقتصادي القوي في شعره".[38]

ويبدو أن فَرَاز في بداية شعره لم يكتفِ بإثارة قضايا الحبّ وأسرار العشق والشباب والخمريات الصُّوفيَّة التي تجعل منه امرءاً فيلسوفاً يحب العزلة، بل يعكس في هذه المفاهيم رؤيته الشاملة للحياة والسياسة. ولكن حتى وإن كان فَرَاز ينتمي سياسياً إلى الفكر الاشتراكيّ الواقعيّ، لكنه ظل أدبياً على نهج متصوفة المشارقة حين نظم الغزلَ الصوفيّ المختلط بالحبِّ والوجد والحكمة والتأمّل، ولم يجنح إلى مدرسة الشكلانيين الروس، فهو ثوريّ في الشارع، خالٍ بنفسه في المنزل خلوة المتصوفة في سلوكهم ومجاهدتهم من أجل الوصول للحضرة، يقول فَرَاز[39]:

اتنا سناٹا کہ جیسے ہو سکوت صحرا ایسی تاریکی کہ
آنکھوں نے دُہائی دی ہے
جانے زنداں سے ادھر کونسے منظر ہونگے مجھ کو
دیوار ہی دیوار دکھائی دی ہے
دور اک فاختہ بولی ہے بہت دور کہیں
پہلی آواز محبت کی سنائی دی ہے

ساد صمت كأنه وحشة الصحراء
الظلام قاتم حتى أن العيون تناجت
ليت شعري، كيف يكون المشهد ما وراء السّجن !
فلست أرى حولي إلا الجدران
تهادى سجع حمامة من بعيد
هذه أول ترنيمة حب أسمعها.

يظهر شعر أحمد فَرَاز أنه كانت معتدلاً في مواقفه الحياتية يقف منها موقف الرجل العادي وليس المفكر الألمعي، متواضع المظهر والمقال، يتلبس ثوب الرومنسي الحالم.

خاتمة

وفي الختام لا نستطيع الجزم أن أحمد الصافي وأحمد فَرَاز يعرفان بعضهما، وأن هناك تأثير مباشر فيما بينهما لكن هذا التأثر واضحة لاسيما بوجود ثقافة ثالثة مشتركة بين الشّاعرين هي الثقافة الفارسية كانت مثخنة بهذه الهموم. ولكن دراسة مفهوم الخَلوة في شعر الصافي وفراز يبرز اختلاف المقاربات بينهما، يمكن القول إن كلاهما يناول مفهوم الخَلوة بطريقة تعكس تأثير تجربته الشخصية.

يتحدث أحمد الصافي في شعره، عن خلوة حقيقية تتمثل في العزوبية والسّجن والوحدة والبعد عن الناس، ويصفها بصورة واقعية محسوسة مستخدماً لذلك لغة مباشرة بسيطة، أما فَرَاز، في شعره، فإن مفهوم العُزلة يحمل معانٍ صوفية شبيهة بالعطش الرُّوحي للكمال و يرى في الخَلوة مصدراً للتأمل والتفكير العميق، ويعبر عن هذه العزلة بصور رومنسية حالمة، وبأسلوب غير مباشر، ويعود ذلك إلى الفرق الجليّ بين طريقة تفكير شعراء العربية وفلسفتهم للشعر، على أنه أداة من أدوات الخطاب والتعبير لإثارة الجماهير والتحريض على الثورة والتغيير، وبين الطريقة التي يتعاطى بها شعراء الفارسية والهندية والأردية مع الشعر، على أنه اعتكاف في محراب النفس، ووعظ للذات قبل توجيه الخطاب للجماهير العريضة. وقبل أن أطوي هذه الصفحات، وددت أن أشير أن المشترك بين الصافي وفراز أكبر من أن نلخصه بمفهوم واحد هو مفهوم العزلة، ولابد أن يتصدى الباحثون الجادون إلى هذا التراث الغزير الذي تركه كل من الشاعرين لدراسة أوجه التأثير والتأثر بينهما في دراسة أفضل حالاً وأوسع مجالاً، والله الموفق والهادي إلى سواء السبيل.

الحواشي والمصادر

(1) انظر: كتاب أحمد الصافي النجفي، تأليف: زهير المارديني، دار رياض الريس للكتب والنشر، بيروت، لبنان (1996)، ص19.

(2) المرجع نفسه، ص20.

(3) انظر: المرجع نفسه، ص21.

(4) حصاد السجن، لأحمد الصافي النجفي، مكتبة المعارف، بيروت، الطبعة الأولى، 1403هـ – 1983م، ص 153.

(5) أحمد الصافي النجفي، ص22.

(6) المرجع نفسه.

(7) المرجع نفسه.، ص: 137.

(8) المرجع نفسه.، ص: 83

(9) المرجع نفسه.، ص: 89

(10) أحمد الصافي النجفي، للمارديني، ص15.

(11) أثر البادية في الشعر العربي، علي شلق، دار جروس، ميتشغن،(1998)، ص465 ، وأيضاً: من الشعر الحديث، إبراهيم عريض، دار العلم للملايين بيروت، (1958)، ص57.

(12) ديوان هواجس، أحمد الصافي النجفي، مؤسسة المعارف للطباعة والنشر، القاهرة (1967) ص 364.

(13) ديوان هواجس، ص 141.

(14) ديوان هواجس، ص 101.

(15) أحمد الصافي النجفي، زهير المارديني، ص 38.

(16) ديوان هواجس، ص 367.

(17) صفحة أحمد الصافي النجفي، موقع الديوان،
https://www.aldiwan.net/poem114644.html

(18) أحمد الصافي النجفي – حياته من شعره، سالم معوش، مؤسسة بحسون للنشر والتوزيع، بيروت (2006) ص362.

(19) أحمد الصافي النجفي والغربة الكبرى، مُحَمَّد مظلوم، مجلة جامعة الكوفة، العدد 7 (2014) ص 164.

(20) المرجع نفسه، ص 167.

(21) صفحة أحمد فراز، موقع ريخته للشعر الأردي،
https://www.rekhta.org/poets/ahmad-faraz/profile?lang=ur

(22) كليات فراز، سنك ميل ببليكشنز، لاهور، باكستان، ص 389.

(23) انظر: صفحة أحمد فراز، موقع ريخته.

(24) Haresh Pandya (1 September 2008). "Ahmed Faraz, Outspoken Urdu Poet, Dies at 77". *The New York Times.*

(25) Akbar, M.K. (1997). Pakistan from Jinnah to Sharif. Mittal Publications. p. 48. ISBN 978-81-7099-674-3.

(26) انظر: بحث (احمد فراز كى شاعرى ميں عصرى شعور)، تحسين بي بي، مجلة حرف وسخن، العدد 5، 2021، ص290.

(27) المرجع نفسه، ص292.

(28) المرجع نفسه.

(29) ديوان نايافت، أحمد فراز، دوست ببلكيشنز، إسلام آباد (2009)، ص 61.

(30) "Remembering Ahmad Faraz". Outlook (India magazine). 11 September 2008.

(31) "Faraz dies: Poetry loses a voice, people a friend". Dawn (newspaper). 26 August 2008

(32) المرجع نفسه.

(33) للاستزادة انظر: كتاب حقائق عن التصوف، عبدالقادر عيسى، منشورات دار العرفان، حلب، سورية الطبعة 16 (1997).

(34) للاستزادة انظر: كن وحيدًا كالأنبياء والفلاسفة والمبدعين: «الخلوة» وحلم الارتقاء، مقال مُحَمَّد حسن الشيخ، موقع إضاءات، منشور بتاريخ 2022/10/26،

(35) الإمام الجنيد سيد الطائفتين، الشيخ أحمد فريد المزيدي، دار الكتب العلمية، بيروت (2006) ص178.

(36) كليات فراز، ص 609.

(37) كليات فراز، ص 611.

(38) انظر: (هم عصر غزل كا قافله سالار)۔ دستگير شهزاد، لاهور، ماه نو، عدد شهر يناير 2009، ص129.

(39) كليات فراز، ص 608.